فكـرة الإلــه عنـد نيـتشـه

د. إبراهيم موحان تايه
كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة واسط

(وليم فردريك نيتشه ١٨٤٤-١٩٠٠م):

١- مقدمة[١].

نيتشه كائن قلق جداً، وموجود جداً شغلته الغربة المرة فاعتلى قمة الجبل وطار، الكمال المحض كان دافعه الخلّاق، وأنانيته المطلقة صيّرته شيخ الوجوديين وهناك من الأشياء الكثير ...

لقد أكلته فكرة الإله بنهم حتى اضطرته لأن يطرق أبواب القديسين والملاحدة ويشكو بأنه لم يعد بين الناس من يعرف العبادة ! ويقول عن نفسه أنه اتقى من لا يعتقدون في الله[٢]، آنه فوق القديسين والملاحدة، آنه فوق الخير والشر، انّه سوبرمان .

قبل إن يصل الأمر إلى نيتشه كان هذا الهاجس الذي يسمونه(الألوهية)، يشغل حيزاً مهماً من الدراسات الفلسفية وبعدما انطلق لسان نيتشه جعله سيد الأبحاث وقطب الرحى فيها ولكن ليس جرياً على الترتيب المدرسي بل بما يراه متنفساً حقيقياً لما وصل إليه، لقد كتب نيتشه ما كتب وفتح الباب على مصراعيه، فتناولته أيدي الباحثين بكل شراهة فهناك من شوه له فكره وهناك من نسبه إلى معتقد ما وهناك الكثير أيضا، فكانت غاية هذه الدراسة المتواضعة هو عدم السير على مبنى من تقدم وإيضاح ما أراده نيتشه بلسان الممكن لا غير لان نيتشه طرح أرائه وتصوراته بأسلوب رمزي لذلك لا رد على الرمز، وذلك لتوقف الرد على فهم المراد ولكن المراد وهو باطن الرمز غير مفهوم والمفهوم وهو ظاهر غير مراد فالرد يكون على ظاهر أقاويلهم غير المرادة دون المقاصد المرادة فلهذا لا يتوجه الرد على الرمز[٣].

ولأن نصوص نيتشه أشبه بالهيولى، أنها غير متقولبة ولا جفاف فيها، أنها مرنة لدرجة انها تتنساب مع ميول الشخص واتجاهه الفلسفي والعقائدي.

ولان "بالإمكان استخلاص ثلاثة مستويات متراكبة دائما في الفكر النيتشوي: مستوى الخطاب الأولي، ومستوى الخطاب التحتي غير المكتوب الذي يشكل قاعدة لذلك الخطاب، وأخيرا مستوى النية العميقة التي منعت نيتشه من التعبير بالفعل عن الخلاصات التي قد تكون فرضت نفسها على خطابه الأولي لو توفرت له الشجاعة لإبراز حقيقة خطابه التحتي ومرماه"[٤].

لذا سيقلب النص على أكثر من جهة، فتارة يحال إلى الفكر المتصاعد ومتغيراته، حيث البقاء للفكرة الأقوى وموت الفكرة السابقة حتى يصل إلى قمة الجبل اذ لا فكرة حية لينزل بعدها مبشراً بموت الأفكار، وتارة يقلب لمشاهدة التجسد في ابن الرب وبإمكان موت الرب المسيحي.

٢ـ منعطفات في سيرة نيتشه الذاتية .

على مدى السنوات التي قضاها نيتشه في عالم النور كانت هناك مناسبات وانقلابات لها الأثر الأهم في رسم المخطط البياني لتصاعد فكرة الإله وتدنيها لديه، أولى هذه المنعطفات هي العائلة التي ولد نيتشه في أحضانها فقد كان أبوه قسيساً وكانت أمه تقية ورعة متمسكة بمذهبها أيما تمسك .. كانت مزامير داود وتراتيل التمجيد قد حفرت رأسه الصغير واستقرت في أقصى اللاوعي ..وكانت لوفاة أبيه وهو في سن مبكرة طفرة أخرى فقد احتضنته مجموعة من النساء المتدينات الورعات، أمه وخالتيه وأخته فوجد نفسه نزقا طاهراً مفرط الحساسية متدينا بدين النساء، نتيجة لهذا الوسط الأنثوي(٥).

كان دينه بكائياً أكثر منه جرأة وتمردا كان نيتشه في سن السادسة ينشد آيات من الإنجيل وتراتيل دينية بلهجة تكاد تثير البكاء ولهذا سموه القسيس الصغير، لقد مضت به الأيام ورؤاه تنفتح حتى أشرقت شمسه وهو في ست الثانية عشرة فقد صرح بأنه رأى الله بتمام جلاله، وقبل إن يغادر مدرسة اليفورتا، وهي المدرسة التي قضى فيها دراسته الثانوية من أكتوبر سنة ١٨٥٨ حتى سبتمبر سنة ١٨٦٤، نظم قصيدة وجهها إلى الإله المجهول هاديه ومرشده الذي لم يعرفه بعد(٦).

"مرة أخيرة
قبل أن أرحل،
إن أدير عيني إلى القادم
في وحدتي،
أرفع اليدين نحوك
نحو من أبحث عنده عن ملاذ،
أنت يا من أقمت له الهياكل الفخمة
في أعماق قلبي.
فليناديني صوتك في كل الأوقات!
منحوتة، هذه الكلمات تبرق: للإله المجهول.
إليه أنتمي
حتى وإن بقيت إلى هذه الساعة
محاطا بالأشرار:
أنا له ـ حتى لو أحسست بالروابط التي تسحبني

في المعركة إلى هذه الدنيا، وتجبرني على خدمته،
أنا الراغب هجرانه.
أيها المجهول، أريد أن أعرفك
أنت يا من تدخل عمق روحي،
أنت يا من تعبر قلبي مثلما عاصفة
أنت يا من يتعذر الإمساك به، يا أيها القريب!
أريد أن أعرفك، أريد أن أخدمك."[٧].

وكأنها كانت مسك الختام لمرحلة مضت ومفتاح بداية لمرحلة ستأتي، أنها الثامنة عشرة لقد دخل نيتشه في زمرة الرجال، في هذه الفترة فقد إيمانه في اله إبائه[٨]، أنها مستلزمات رجولته لقد انفلت نيتشه من دين النساء البكآت، لقد صار تفكيره عالياً، ترك الرمانتيكية وميتافيزيقا شوبهور وغادر بلا رجعة، وفي الحادية والعشرين دخل أزمته الروحية وصارت أفكاره في السمت[٩]، بدأت منعطفاته تتضاعف وانقلاباته تأخذ إشكالا جديدة وكان ذروتها مشاهدته في فرانكفورت فيلقاً من الجنود الفرسان يخترقون المدينة في موكب عسكري مهيب ومع ملاقاة حوافر الخيل للأرض الصلبة وتبختر الجنود انقدحت في رأسه إرادة القوة والسيادة التي كانت أساسا لفلسفته فيما بعد "لقد شعرت للمرة الأولى إن اقوى وأسمى إرادة للحياة لا تجد تعبيراً لها في الصراع البائس من اجل البقاء ولكن في إرادة الحرب، إرادة القوة والسيادة"[١٠]، ومنذ تلك اللحظة أخذت أيامه تتلوى وتحتك بأكثر الأشياء قدسية لدى الآخرين.

٣ـ لا تعليق فكرة الإله كما صرح بها نيتشه.

"إن الله قد مات ونحن قتلناه"[١١]، "إن الله افتراض وانأ أريد إلا يذهب بكم الافتراض إلى ابعد مما تفترض إرادتكم المبدعة"[١٢]، "فاعرفوا من هذا إن واجبكم هو طلب الحقيقة فلا تطمحوا إلى ما لا يبلغه تصور الإنسان وبصره وحسه، امسكوا بتصوركم كيلا يتجاوز حدود حواسكم، يتحتم عليكم إن تبدءوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من قبل فيتكون عالمكم من تفكيركم وتصوركم وإراداتكم ومحبتكم وعندئذ تبلغون السعادة يا من تطلبون المعرفة وكيف تطيقون الحياة إذا لم يكن لكم هذا الرجاء؟ على من يطلب المعرفة إلا يتورط في ما يريده العقل من المعميات لسوف افتح لكم قلبي فلا تخفى عليكم خافية فأقول لكم لو كان هناك أرباب أكنت أتحمل إلا أكون رباً؟ إذن ليس في الكون أرباب"[١٣]، أنهم يريدون إن يقيموا أنفسهم موفقين بين مختلف المعتقدات غير أنهم لا يزالون رجال العمل الناقص السائرين على السبل المتوسطة الحائرة فهم يعكرون المياه بأقذارهم وا أسفاه ! لقد ألقيت شباكي في بحارهم أملا في اصطياد خير الأسماك ولكنني ما سحبت هذه الشباك مرة إلا وقد علق فيها رأس اله قديم[١٤]، "مات الله لكن من طبيعة البشر انه وربما لآلاف السنين ستبقى هناك كهوف تعرض ظله، ونحن بدورنا علينا أن نقضي على ظله أيضا"[١٥]،

"أريد إن اسطر على جميع الحيطان هذا الاتهام الأزلي ضد المسيحية وحيثما وجد حيطان فلدى حروف يبصرها حتى العميان ... إني أدعو المسيحية الكارثة الكبرى الوحيدة والإفساد الداخلي الكبير الوحيد ...إني ادعوها وصمة الإنسانية الوحيدة والأبدية ... ويقيسون الزمان انطلاقاً من اليوم المشوؤم الذي إذن ببداية هذا المصير انطلاقاً من يوم المسيحية الأول ! فلماذا لا يقيسون انطلاقاً من يومها الأخير؟ من يومنا هذا يوم تبدل جميع القيم !. .."[١٦]، "إن الإله ذاته لن يستطيع البقاء بدون الناس العقلاء ـ قال لوثر، وبحق، غير أن قدرت الإله على البقاء ستكون أقل بدون الخرق، هذا ما لم يقله لوثر الشجاع !"[١٧]، "منذ الآن لن تكون حججنا هي التي تقرر ضد المسيحية، بل ذوقنا"[١٨].

وهكذا يظهر نيتشه بلباس الملحد المتطرف على ظاهر قوله، ولكنه في مناسبة أخرى يصرح بخلاف هذا التوجه تماماً بقوله: "يجب إن تكون جميع الكائنات إلهية "[١٩]، وأيضا بقوله:

من يدفئني ؟ من يحبني بعد !
إنا المحتضر المحتاج إلى اكف تفرك رجليّ الباردتين
إنا المنتفض تتاكلني الحمى الخفية ،المرتعش تهب عليّ الرياح اللوافح
إنا طريدك أيها الفكر الذي لا اسم له ، أيها المحجب المخوف الملفع بالغمام
عيناً تحدجني في طيات الظلام .
ها إنا طريح أتلوى بعذاب الأبد تحت ضرباتك ، أيها الصياد العاتي
أنت أيها الإله المجهول[٢١].

وبقوله:

"هناك ـ الذهاب هناك ، أريده ، منذ الآن
عليّ أنا أعتمد، على يديّ .
مفتوحاً يعرض نفسه البحر ، في الزرقة
يريد أن ينقذف مركبي الجنوي
كل شئ يومض لي ببرق جديد ،
تغفو الظهيرة على الفضاء والزمن:
وحدها عينك ـ ببشاعة
تحدّق فيّ ، أيها المطلق!"[٢٢].

وبقوله:

"أيتها السماء الرافعة قبابها فوق رأسي نقية صافية ، أيتها السماء السحيقة وقد غادرت في إبعادك الأنوار، إنني اشخص إليك فتتملكني رعشة الأشواق الإلهية"[٢٣]، أو على لسان الغير كما في قصيدته (شكوى أريان)*:

٤ـ نيتشه والمسيحية.

هل آستطاع نيتشه إن يفلت من دائرة التدين المسيحي؟، وهل يمكن أن نتصور فكرة كسر قيوده الثقيلة التي فرضتها عليه البيئة التي كان يعيش فيها؟. وعلى فرض التسليم، ما هي تلك القوة المضادة وما مدى جباريتها بحيث ألقت بنيتشه مدوخا هائماً،هل انه امسك كلياً كبيراً وتاه في اللامحدود حتى صار يشكو انه لم يعد بين الناس من يعرف العبادة ويقول عن نفسه هو تكرار من لا يعتقدون في الله[٢٤]، لقد كبر الإله فيه وكبر يسوع حتى صار يرى ما عند الناس أثرا من آثأر الماضي السحيق، أنها حكايات عجائز يرعبن بها الأطفال ونيتشه لم يعد طفلاً وهو يرفض النوم آبياً الغفلة، لقد كان تركيزه في اعلي حالاته.. سار بخطى ثابتة فأعلن موت أرباب الكنيسة وإنهم هم البلية الكبرى لأنهم من نقل صورة يسوع، وموت يسوع، إذن فقد مات الإله الذي صوروه لنا، لان"نور كل ما ألمسه، فحم كل ما أتركه"[٢٥].

المسيحية في نظر نيتشه من عمل القديس بولس مؤسس الكنيسة، أكثر مما هي من عمل الناصري[٢٦]، لقد كانت التفاصيل المتناقضة والساذجة تثير السخط لدى نيتشه، وتحفزه ليبني إلهه الجديد من رفات الإله المسيحي، فانه مهما طار بعيداً فانه فسيحمل طفولته التي تداهمه بين الحين والأخر إنني أسير إلى هدفي واتبع طريقي فاقفز فوق المترددين و المتأخرين وهكذا سيكون سيري جنوحاً إلى الغروب[٢٧]، إلى النهاية القصوى تلك النهاية التي صرح بها القس الذي دخل على ارثور رامبو ليأخذ اعترافه الأخير ويعيده إلى جادة المسيحية .. هو اشد إيمانا مني .

٥ـ أطروحات بعض الباحثين حول فكرة الإله لدى نيتشه.

كثيرون هم من توقفوا عند نيتشه وقالوا بحقه الأقاويل، منهم من قطع بأنه ينتمي إلى عالم الظلمة، ومنهم من قطع بأنه نوراني، ومنهم من قال بأنه طفل مرح يعبث بالأفكار، ويقف نيتشه هناك يفتل شاربيه ويقول بصوت متكلف أيها السادة " قد يكون في وسعنا إن ننظر إلى الأمر من الزاوية المقابلة، فنقول: إن الأمانة العقلية ذاتها تقتضي من المرء إن يتروى قبل إن يدون أفكاره ولا يتركها تنطلق تلقائياً بل يحمله إحساسه بالمسؤولية على إن يقلب الفكر من كل الأوجه ليرى ما إذا كانت متسقة مع سائر أفكاره أم لا وليعدلها هي أو يعدل أفكاره الأخرى قبل إن يدونها"[٢٨].

فمن اتبع ظاهر النصوص ولم يكلف نفسه التأويل صرح بان نيتشه ملحد، ينكر كل دين إلا دينه الجديد والهة الجديد، منهم: ديورانت، زكي نجيب محمود، احمد أمين، فقد اتهمه هولاء بالزندقة والإلحاد المرح وان إلهه الجديد هو السوبرمان، حيث ذكروا انه عندما مر به زراداشت وهو في عزلته فارتفعت روحه

وطغت على كل ما يحدها لأنه قد وجد فيه معلماً جديداً أو اله جديداً هو السوبرمان كما وجد ديناً جديداً هو التكرار الأبدي للإنسانية[٢٩].

إلا انه يمكن القول إن نيتشه وجد في زراداشت معلماً جديداً، كما انه وجد ديناً جديداً، إلا انه لم يجد ألها جديداً، بل وجد الرجل الذي يمارس تعاليم الدين الجديد، فان التكرار الأبدي مرحلة متعالية لا يطأها إلا الرجال المتعالين، وعلى فرض كون السوبرمان هو الإله الجديد أو القيم الجديدة، فإننا سوف نبقى بعد موت الإله القديم إلى إن يولد السوبرمان بلا اله و بلا قيم، وذلك هو التيه والنقمة الكبرى لان نيتشه كان قد خشي إن يظن كل قارئ نفسه الإنسان الأعلى المنشود فقد صرح نيتشه بان الإنسان الأعلى لم يولد بعد وأننا لسنا إلا مقدماته التي يتفرع عنها والتربة التي ينبت فيها، هذا وان زراداشت لم ينزل من الجبل في سن الثلاثين كما زعموا يهبط زراداشت وهو رجل في سن الثلاثين من ذروة جبله التي كان قد اعتكف فيها يسبح في تأمله وفكره[٣٠]، بل كان في الأربعين و للأربعين رمزية ذات شان مهم في الديانات الشرقية .

وقد رفض رودولف شتاينر إن يكون السوبرمان اله نيتشه لأنه يمثل"الفرد الكلي الاستقلال والذي لا يمكنه أن يعيش إلا انطلاقا من طبيعته ذاتها لأنه يرى نظام حياته المتطابق مع جوهره هدفه الشخصي"[٣١].

وكذلك السيدة سالومي[٣٢]، وأيضا توفيق الطويل الذي رفض إن يكون السوبرمان اله نيتشه وقال" ليس السوبرمان عنده إلا مواطنا عالمياً يمثل صلابة الحق وشجاعة الرأي ويمجد الألم والقسوة ويحتقر الدعة والصبر والتواضع والتعاطف"[٣٣].

إما بوخينسكي فيرى إن نيتشه بشر بقدوم نموذج أنساني جديد اسماه السوبرمان[٣٤]، ونحى كارل ياسبرز منحى جديداً في تفسير رؤيا نيتشه حيث ذكران نيتشه لم ينكر وجود الإله بل قال بموته، إلا إن هيدجر يقف من نيتشه موقفاً ناضجاً فهو بهذا الموقف يقرءا بين سطور نيتشه لان ميتافيزيقا هيدجر كانت تدور حول الذات الإنسانية ووجودها ولا شغل لها في غيرها لأنه كل ما دونها بحث مضيع فهو في عبارته المشهورة إن الإله قد مات... يعبر عن اعتقاده بان العالم الأخر بكل صوره الفلسفية قد فقد دعامته وانهار من أساسه فتلك الفكرة إذن مرتبطة بموقفه من الفلسفات التقليدية كل الارتباط وهي تمهد تمهيداً مباشراً لرفضه الميتافيزيقا القديمة بحيث لا يبقى إمام الفكر إلا البحث في القيم[٣٥]، تلك القيم التي قد شهد نيتشه احتضارها واحتضار الحضارة التي أنتجتها ، لقد ماتت القيم التقليدية، وكأن نيتشه قد لفت فيما بعد ذهن اشبنجلر لكي يشهد سقوط الحضارة وقيمها وتدهور الغرب.

٦ ـ إمّا، أو .

إن مفردة الإله لدى نيتشه إمّا إن تكون لها دلالة مطابقية على نحو الحقيقة حيث تشير إلى ما هو المتعارف عند عوام الناس من إن الرب في الأعالي وان الناس كلهم أبنائه، وإما إن تكون لها دلالة مجازية وهي القيم التقليدية والفهم البدائي المشوه لما جاء به الرسل، أو أنها لا هذا ولا ذاك، بل إن نيتشه يبدي تعجبه من الحشود المؤمنة التي تسير أيام الآحد ملبية دعوى الأجراس العتيقة... إن سأمه ناتج من إن هناك دعوى بلا برهان فها هي إلف سنة وأكثر مرت على محدود جاء بدعوى غير محدودة وانه ابن الله الذي مات وقد اخفى صورة أبيه ومنذ ذلك اليوم ونحن نقتات على ذكريات أب فان، قتلوه وما دام الأمر كذلك فلا ضير بان يموت الأب أيضا، وإلا فهل لنا إن نتصور ألها ينجب أطفالا من زوجة فانية[٣٦]، "لقد نقض الله بوصفه (ألآب) نقضاً جذرياً"[٣٧].

وعلى مستوى الدلالة الثانية، كان التناقض فيما يعتقد وفيما يقال هو الذي دفع نيتشه إلى إن يربت على أكتاف الموجودين إن فكرة ألان قد ابتلعت الفكرة السابقة وهذا هو الانتخاب الطبيعي للفكر، إن سلم الصعود في الأفكار سيؤدي نزولاً إلى خواء ما كان، وهكذا نرى نيتشه يطالب باجترار الفكرة وعدم ابتلاعها وإبداء علامات الرضا أو الرفض مباشرة كل ذلك الرضا والرفض إنما هو نتاج المعارف السابقة، إذا نحن لم نرجع فنصير مثل هذه الأبقار فلن ندخل ملكوت السماء ... لأنه علينا إن نقتبس من الأبقار اجترارها"[٣٨].

أو كل اله يمثل قيمة، وبموت هذه القيمة يموت الإله، فان الأمة الألمانية بقيمها العسكرية قد أهلكت كل الأخلاق والقيم المسيحية، ولقد ذهبت المحبة إدراج الرياح لقد مات الإله المسيحي، ومع هذا كله ربما يكون نيتشه وجودياً صرفاً شغلته همومه الذاتية والشعور بالنقص الوجودي فأراد تصحيح معايير العبودية اذ قال لا نقص بعد ألان لأنه " لو كان هناك أرباب أكنت أتحمل إلا أكون رباً ؟ اذن ليس في الكون أرباب"[٣٩].

كان يدعو الضعفاء لقتل ضعفهم والتعالي والتجاوز على كل عقبة تقف في طريق السمو والتكامل حتى الوصول إلى أخلاق الفرسان الكبار، لابد إن يكون هذا التعالي والصعود بالأرجل لا حملاً على ظهور الغير ورؤوسهم.

وللدكتور طلعت مراد وجهة نظر أخرى وهي إن نيتشه كان يشعر بتميزه لذا فانه لم يرض بصورة الإله المسيحي بل بني إلهه وشذبه وأضاف له نقطة حمراء هنا، ربما تركه بلا شارب "إن نيتشه يبشرنا باله جديد مجهول الهوية خلقه من رفات الإله المسيحي"[٤٠].

وهكذا تعود بنا الدائرة إلى نيتشه برغم انفلاته الحاد لم يستطع إن يخرج من دائرة التدين المسيحي برغم رحلة الشرق الساحرة، وهكذا تدور الممكنات في فلك نيتشه وندور معها وكأنه يقف ألان يمارس عادته القديمة يفتل شاربيه ويقول ! أيها السادة إن الأمر لا هذا ولا ذاك .

هوامش ومصادر البحث:

[١] من المفيد جداً البدء مع نيتشه منذ بداياته الأولى، وتتبع المراحل والأطوار التي مرت بها فكرة الإله لديه، لأن فكرة الإله لديه متصاعدة، لذلك سوف نتتبعها معه منذ طفولته وحتى رجولته من خلال مقدمة وفقرات متسلسلة.

[٢] ينظر، احمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، ج٢، السلسلة الفلسفية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، ص٥٢٦. وينظر أيضا، ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥٢١.

[٣] ينظر، شهاب الدين السهروردي: حكمة الإشراق، مجموعة مصنفات شيخ إشراق، تصحيح وتقديم، هنري كوربان، طهران، ١٣٧٣، ص١٠.

[٤] بيير بودو: نيتشه مفتتاً، تعريب، أسامة الحاج، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ص٧.

[٥] ينظر، جيل دولوز: نيتشه، تعريب، أسامة الحاج، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ص٦.

[٦] ينظر، عبد الرحمن بدوي: نيتشه، خلاصة الفكر الأوربي، سلسلة الفلاسفة، ط٥، الكويت،١٩٧٥م، ص ٣١ ـ ٣٢.

[٧] فريدريش نيتشه: ديوان نيتشه، ترجمة، محمد بن صالح، ط٢، منشورات الجمل، بيروت ـ بغداد، ٢٠٠٥م، ص٧٧ ـ ٧٨.

[٨] ينظر، ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥٠٨.

[٩] ينظر، اويغن فنك: فلسفة نيتشه، ترجمة، الياس بديوي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م، ص٥١.

[١٠] ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥١١.

[١١] نيتشه: العلم الجذل، ترجمة، سعاد حرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م، ص١١٨.

[١٢] فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة، فليكس فارس،مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، ١٩٣٨م، ص٧٢.

[١٣] المصدر نفسه، ص٧٢.

[١٤] المصدر نفسه ، ص١٠٩.

[١٥] نيتشه، العلم الجذل، ص١٠٧.

[١٦] فريدريش نيتشه: نقيض المسيح مقال في اللعنة على المسيحية، ترجمة، علي مصباح، ط١، منشورات الجمل، بيروت ـ بغداد، ٢٠١١م، ص١٤٩.

[١٧] نيتشه: العلم المرح، ترجمة وتقديم، حسان بورقية ـ محمد الناجي، افريقا الشرق، ط١، ١٩٩٣م، ص١٣٥.

[١٨] المصدر نفسه، ص١٣٥.

[١٩] نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص٩٤.

[٢٠] فريدريش نيتشه: ديوان نيتشه، ص٢٨١ ـ ٢٨٥.

[٢١] نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص٢١٣.

[٢٢] نيتشه: العلم المرح، ص٢٦٢.

[٢٣] نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص١٣٧.

* قصيدة شكوى أريان من أجمل وأعمق القصائد التي كتبها نيتشه وهي قصيدة طويلة، هذه القصيدة تكشف عن جانب مهم من اعتقاد نيتشه وموقفه من الإلوهية، لذلك سوف نقدمها للمهتمين بالأمر النيتشوي بصورة كاملة ولا نختصرها لاعتقادنا إن الاختصار سوف يغيب كثير من

المضامين التي أراد نيتشه إن يبثها في هذه القصيدة، هذا النص الشعري يصلح لان يكون مشروع بحث مستقل، لان فيه مضامين ومعاني قد اغفل البحث فيها في دائرة البحث الفلسفي وخاصة في موضوع فكرة الإله لدى نيتشه، لذا فالباحث يلفت انتباه أهل الاختصاص إلى هذا النص المهم عسى إن تقدم في المستقبل القريب دراسات مغايرة لفكرة الإله لدى الفيلسوف الألماني وليم فردريك نيتشه، تكون متحررة من الفهم الأحادي والقطعي باعتبار إن هذه القصيدة تقدم صورة واضحة عن حيرة الفيلسوف وبحثه المتعب عن الإله الذي يأمل إن يجده ويعبده بمعني إن هذا النص يكشف عن تلك الأحوال والمواجيد التي كان يمر بها نيتشه في طريق بحثه عن الإله وهو بذلك مؤمن بوجود الإله وانه ليس بملحد والقصيدة هي:

"من يدفئني؟ من يزيدني حبا؟
أعطوني أياد دافئة
أعطوني قلوبا ـ مواقد.
ممدة، مرتعدة
كمحتضر يدفئون له القدمين، مرتجة
وا أسفي، من الحمى المجهولة،
أمام الجليد الحاد مرتعشة
مطرودة منك أيتها الفكرة
أيتها التي لا اسم لها،
أيتها المحبوبة، أيتها الفزعة!
أيتها القناصة من خلف السحب!
مصعوقة بك
أيتها العين الساخرة!
الناظرة إلى في العتمة
ها أنني قابعة
أتكور، أتمدد، معذبة بكل الآلام الأبدية
أتلق ضرباتك،
يا أعنف القناصين!
يا إلها ـ مجهولا...
اضرب أقوى،
اضرب مرة أخرى،
اخترق هذا القلب، فرقه
لم بالسهام المثلومة تعذبني؟
ما الذي تطيل إليه النظر،
بهذا البريق الإلهي
الماثل في عينيك الساخرتين؟
يا من لا تمل العذاب الإنساني!
يا من لا رغبة لك في القتل ولكن،
لهفة التعذيب تسكنك، لم تعذبني؟
أيها الإله الساخر المجهول! ولم؟
وسط هذا الليل، زاحفا تتقرب؟
ما الذي ترغبه؟

تكلم! إنك تدفعني، وتشدني،
آه! قد صرت قريبا!
تسمع أنفاسي، تراقب قلبي...فيالك من غيور!
فممّ تغار؟
ابتعد! ابتعد!
لم هذه السلّم؟
أترغب في الدخول؟
في التسّرب إلى قلبي وأفكاري الأكثر سرا؟
أيها المتجّرئ! أيها المجهول! أيها السارق!
ما الذي تريد سرقته؟
ما الذي تريد سماعه؟
ما الذي تريد ابتزازه؟
أيها المعذب!... أيها الجلاد!
أم هل علّي الارتماء، كالكلب، على قدميك،
مستسلمة، سكرانة، غاضبة،
أن أهديك حبّي ـ غاضبة؟
عبثا تحاول؟
اضرب أيضا،
يا أكثر المتحفزين للعنف اضرب!
لست كلبا
ما أنا إلا طريدتك،
إلا سجينتك الأكثر كبرياء،
يا أعنف القناصين!
يا قاطع الطرقات من خلف السحب...
تكلم!
يا من تتخّف وراء البروق!
أيها المجهول تكلم!
قل ما تريده
أيها المتربص على الطرقات، قل ما تريده مني!
أفدية تريد؟
أطلب أكثر
كبريائي ينصحك،
وبإيجاز تكلم
ذي نصيحة كبريائي الآخر!
آه وآه!
أأنا التي ترغبها،
فيالك من مجنون إذ تعذّبني!
أتعذب كبريائي؟
ماذا لو أعطيت حبا !
من يدفئني أكثر؟

من يزيدني حبا؟
إلى بالأيادي الدافئة،
إلى بالقلوب المواقد،
إلى أنا الأكثر عزلة
أنا التي
وا أسفي!
جعلتها الثلوج تذوي
سبع مرّات خلف الأعداء،
وسلمني نفسك
يا أعنف الأعداء!..
رحل!
فر من ذاته
رفيقي الوحيد
عدوي الكبير، مجهولي، إلهي وجلادي!..
لا!
عد!
بكل عذاباتك عد!
دموعي كلها، اليك تتجه،
وأخر شعلة في قلبي، لأجلك تستفيق.
أواه عد!
إلهي المجهول!
يا ألمي! يا سعادتي الأخيرة!" ، فريدريش نيتشه: ديوان نيتشه، ص٢٨١ ـ ٢٨٥.

(٢٤) ينظر، احمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، ج٢، ص٥٢٦. وينظر أيضا، ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥٢١.

(٢٥) نيتشه: العلم الجذل، ترجمة، د.سعاد حرب، دار المنتخب العربي، ط١ ، بيروت، ٢٠٠١م، ص٢٨.

(٢٦) ينظر، اويغن فنك: فلسفة نيتشه، ص١٦٢.

(٢٧) نيتشه: هكذا تكلم زراداشت، ص٤.

(٢٨) فؤاد زكريا: نيتشة، نوابغ الفكر الغربي(١) دار المعارف، ١٩٥٦م، ص١٤٨.

(٢٩) ينظر، ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥١٩.

(٣٠) ينظر، احمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، ص٥٢١. وينظر أيضا، ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥٢٠.

(٣١) رودولف شتاينر: نيتشه مكافحاً ضد عصره، ترجمة، حسن حنفي، ط١، دمشق، ١٩٩٨م، ص٦٨.

(٣٢) ينظر، المصدر نفسه، ص٣٨.

(٣٣) توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٣٤.

(٣٤) ينظر، بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة، محمد عبد الكريم الوافي، مكتبة الفرجان، طرابلس ـ ليبيا، (ب ـ ت)، ص٣٨.

[٣٥] ينظر، طلعت مراد بدر: نيتشه البتولي ورفات النص المعتوه قراءة مقطبة الجبين، المجلة الفلسفية العربية، مج٤، عدد٤، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م، ص٤٦.
[٣٦] نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته كتاب العقول الحرة، ترجمة محمد الناجي، افريقا الشرق، بيروت، ١٩٨١م، ص٧٩ ـ ٨٠.
[٣٧] فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر تباشير فلسفة للمستقبل، ترجمة، جيزيى فالور، الفارابي، بيروت ، ط١، ١٩٩٥م، ص٨٦.
[٣٨] نيتشه: هكذا تكلم زراداشت، ص٢٢٦.
[٣٩] المصدر نفسه، ص٧٢.
[٤٠] طلعت مراد بدر: نيتشه البتولي ورفات النص المعتوه قراءة مقطبة الجبين، ص٤٦.